

تفسير البحر المحيط

@ 193 ذلك فلا تتمالك أن تنتقل من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان إلاّ بأمر المليك ومشيئته ، والمعنى أنه محيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ، فكيف نقدم على فعل نحدثه إلاّ صادراً عما توجهه حكمته ويأمرنا ويأذن لنا فيه انتهى . وقال البغوي : له علم ما بين أيدينا . .

وقال أبو مسلم وابن بحر : { وَمَا نَزَّذَنْزَلُ } الآية ليس من كلام الملائكة وإنما هو من كلام أهل الجنة بعضهم لبعض إذا دخلوها وهي متصلة بالآية الأولى إلى قوله { وَمَا بَيِّنَ ذَالِكَ } أي ما ننزل الجنة إلاّ بأمر ربك له { مَا بَيِّنَ أَيْدِينَا } أي في الجنة مستقبلاً { وَمَا خَلَفْنَا } مما كان في الدنيا وما بينهما أي ما بين الوقتين . وحكى الزمخشري هذا القول فقال : وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة أي وما ننزل الجنة إلاّ بإذن من الله علينا بثواب أعمالنا وأرنا بدخولها وهو الملك لرقاب الأمور كلها السالفة والمتروكة والحاضرة ، اللطف في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها . .

ثم قال تعالى تقريراً لهم { وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا } لأعمال العاملين غافلاً عما يجب أن يثابوا به ، وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السموات والأرض وما بينهما انتهى . وقال القاضي : هذا مخالف للظاهر من وجوه . .

أحدهما : أن ظاهر التنزيل نزول الملائكة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ولقوله { بِأَمْرٍ رَبِّكَ } فظاهر الأمر بحال التكليف أليق . .

وثانيها : خطاب من جماعة لواحد ، وذلك لا يليق بمخاطبة بعضهم لبعض في الجنة . .

وثالثها : أن ما في مساقه { وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا } * رَبِّ * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَمَا بَيِّنَهُنَّ مَا } لا يليق بحال التكليف ولا يوصف به الرسول انتهى . .

وقرأ الجمهور { وَمَا نَزَّذَنْزَلُ } بالنون عن جبريل نفسه والملائكة . وقرأ الأعرج بالياء على أنه خبر من الله . قيل : والضمير في يتنزل عائد على جبريل عليه السلام . قال ابن عطية : ويردّه له { مَا بَيِّنَ أَيْدِينَا } لأنه لا يطرد معه وإنما يتجه أن يكون خبراً عن جبريل أن القرآن لا يتنزل إلاّ بأمر الله في الأوقات التي يقدرها وكذا قال الزمخشري على الحكاية عن جبريل ، والضمير للوحي انتهى . ويحمل ذلك القول على إضمار أي وما يتنزل جبريل إلاّ بأمر ربك قائلاً له { مَا بَيِّنَ أَيْدِينَا } أي يقول ذلك على سبيل الاستعداد في البقاء عنك بأن ربك متصرف فينا ليس لنا أن نتصرف إلاّ بمشيئته ، وإخبار أنه تعالى ليس بناسيك وإن تأخر عنك الوحي . .

وارتفع { رَبِّ * السَّمَاوَاتِ } على البدل أو على خبر مبتدأ محذوف . وقرأ الجمهور { هَلْ تَعْلَمُ } بإظهار اللام عند التاء . وقرأ الأخوان وهشام وعلي بن نصر وهارون كلاهما عن أبي عمرو والحسن والأعمش وعيسى وابن محيص بالإدغام فيهما . قال أبو عبيدة هما لغتان وعلى الإدغام أنشدوا بيت مزاحم العقيلي : % (فذرذا ولكن هتعين متيما % .

على ضوء برق آخر الليل ناصب وعدي فاصطر باللام على سبيل التضمين أي اثبت بالصبر لعبادته لأن العبادة تورد شدائد ، فاثبت لها وأصله التعدية بعلى كقوله تعالى { وَاصْطَبِرْ عَلَائِهِمَا } والسمي من توافق في الاسم تقول : هذا سميك أي اسمه مثل اسمك ، فالمعنى أنه لم يسم بلفظ الشيء قط ، وكان المشركون يسمون أصنامهم آلهة والعزى إله وأما لفظ الشيء فلم يطلقوه على شيء من أصنامهم . وعن ابن عباس : لا يسمى أحد الرحمن غيره . وقيل : يحتمل أن يعود ذلك على قوله { رَبِّ * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَمَا بَيْنَهُنَّ } أي هل تعلم من يسمى أو يوصف بهذا الوصف ، أي ليس أحد من الأمم يسمى